مقارنة الأديان

٢

المسيحية

اقرأ فى هذه الطبعة الموضوعات الخطيرة التالية :

١ ــ قضية الالوهية كنموذج للمقارنة بين قضايا الاديان .
٢ ــ قضية رفع السيد المسيح الى السماء .
٣ ــ ماذا يقول القسس والمفكرون عن الحياة فى الاديرة .
٤ ــ اسطورة نقل رفات القديس مرقص من البندقية الى القاهرة .
٥ ــ خرافة ظهور السيدة العذراء فى كنيسة الزيتون والمعادى ...

تأليف

الدكتور أحمد شلبى

دكتوراه من جامعة كمبردج
استاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة

الطبعة العاشرة ١٩٩٨

مع زيادات واسعة وتحقيقات مهمة

الناشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى
القاهرة

http://kotob.no-ip.org

الكتاب المقدس

مقدمة :

الكتاب المقدس عند المسيحيين يشمل « العهد القديم » و « العهد الجديد » وقد رأينا للأسف أن المسيحيين مع تقديسهم للتوراة لم يتبعوها، فأحلوا ما حرمته ، ولم يلزموا حدودها ، ولما لم يكن فى وسعهم ان يتصرفوا فى نصوصها لأن أصولها ثابتة عند أعدائهم اليهود ، فإنهم عمدوا الى المجامع يغيرون بها ما يشاءون مما نصت عليه التوراة ، وراحوا أحياناً يفسرون التوراة بما يناسب الإنجيل كما ظهر فى محاولتهم ليجدوا فى التوراة دليلا على ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس ، ومن أجل هذا كان حديثنا عن العهد الجديد هنا أهم ، لأنه أولا : كتاب المسيحيين المباشر ، ولأنه ثانياً . يفسر التوراة ويوجهها حسب اعتقاد المسيحيين ، أما الحديث عن العهد القديم فيجده القارئ مفصلا فى كتابنا عن « اليهودية » .

وكلمة إنجيل (Gospel) كلمة يونانية معناها (الحلوان) وهو ما تعطيه مَنْ أتاك ببشرى ، ثم أريدَ بالكلمة البشرى عينها ، أما السيد المسيح فقد استعملها بمعنى (بشرى الخلاص) التى حملها الى البشر ، واستعملها الرسل من بعده بالمعنى نفسه ، وربما استعملوها أيضاً بمعنى ملخص تعليم المسيح لأن فيه الخلاص . أو سيرة حياته وموته (١) لأن فى هذه السيرة معنى الخلاص أيضاً .

وما لبثت هذه الكلمة أن استعملت بمعنى الكتاب الذى يتضمن هذه البشرى ، وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الأول حتى اليوم ، نقول إنجيل متى وإنجيل لوقا (٢) ...

(١) متى ٢٦ : ١٣ افسس ١ : ١٢ غلاطية ٢ : ٧ .
(٢) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ١٤ .

ويتكون العهد الجديد (الانجيل) من سبعة وعشرين سفراً يمكن وضعها فى ثلاثة أقسام :

١ ــ قسم « الأسفار التاريخية » ويشمل هذا القسم خمسة أسفار هى الأناجيل الأربعة (إنجيل متى وإنجيل مرقص وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا) ثم رسالة أعمال الرسل التى كتبها لوقا ، وسُميت هذه الأسفار الخمسة بالأسفار التاريخية لأنها تحوى قصصاً تاريخية ، فالأناجيل تحوى قصة حياة عيسى وتاريخه وعظاته ومعجزاته ، ورسالة أعمال الرسل تحوى قصة حياة معلمى المسيحية وبخاصة بولس .

٢ ــ قسم « الأسفار التعليمية » وتشمل إحدى وعشرين رسالة ، وقد سبق أن تحدثنا عن الرسائل (Epistles) عند الكلام عن بولس ، وتتوزع الرسائل بين كتابها كالآتى :

١٤ رسالة من كتابة بولس وبعضها محدد التاريخ ، وهى جميعاً كالآتى :

رسالتان إلى أهل تسالونيكى سنة ٥٤ .

رسالته الأولى الى كورنثوس سنة ٥٥ .

رسالته إلى أهل روما سنة ٥٦ أو ٥٧ .

رسالته الى أهل أفسس وفيليبى وكولوسى سنة ٦١ أو ٦٣ .

ثم رسالته الى أهل غلاطية ، ورسالتان الى تلميذه تيموثاوس ، ورسالة الى تيطس ، ورسالة الى فيليمون ، ورسالة الى العبرانيين ، ورسالته الثانية الى أهل كورنثوس (١) .

٣ رسائل من كتابة يوحنا .

٢ رسالتان من كتابة بطرس .

(١) الاب بولس الياس : يسوع المسيح ص ١٧ .

١ رسالة واحدة من كتابة يعقوب .

١ رسالة واحدة من كتابة يهوذا .

ومن هنا يتضح أن أكثر الرسائل هى رسائل بولس ، ويتضح بالتالى أن بولس وضع أكثر التشاريع المسيحية .

٣ ــ أما القسم الثالث فهو رؤيا يوحنا اللاهوتى ، وتسمى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام ولكن يوحنا رآها فى اليقظة ، وقد قرأتها عدة مرات ولم يظهر لى منها قصدٌ ذو بال، وكأن يوحنا أراد أن يُظْهِر بها سلطان المسيح بعد رفعه وصلته الدائمة بالكنائس ، وما كان أجدر بالمسيحيين أن يحذفوا هذه الرؤيا من الكتاب المقدس فهى للخرافات أقرب (١) ، ويصور يوحنا فيها السيد المسيح بالخروف المذبوح (٢) ، ويكرر هذا اللفظ ، وهو ذوق نابٍ فى التعبير . وعن هذا التشبيه يقول الروائى الإنجليزى المعاصر D. H. Lorance : إننى أشمئز من الربط بين المسيح وبين الخروف المذبوح ، مع أن الخراف أغبى وأجشع ما فى مملكة الحيوان .

الأناجيل تتأثر برسائل بولس :

وقصة هذه الأناجيل وعلاقاتها بالمعتقدات المسيحية قصة تدعو للعجب ، فمن الطبيعى أن تتبنى المعتقدات على الأناجيل ، ولكن الواقع غير هذا أو قل عكس هذا ، إذ انْبَنَتْ الأناجيل على المعتقدات ، فقد نشأت المعتقدات بواسطة بولس ، ثم كتب بولس رسائله بين سنة ٥٥ وسنة ٦٣ م بيد أن الإنجيليين لم يبدءوا كتابة أناجيلهم إلا فى سنة ٦٣ ، ورجحت كفة بولس وكفة معتقداته على ما ذكرنا من قبل ، فتأثرت الأناجيل بهذه الرسائل (٣) .

(١) اقرأ الاصحاح الثانى عشر من هذه الرؤيا .
(٢) الاصحاح الخامس الفقرة السادسة وما بعدها .
(٣) انظر يسوع المسيح للاب بولس الياس ص ١٨ .

أناجيل مهمة أُبيدَتْ :

وبجانب ما وضعه بولس ومريدوه من أناجيل ورسائل كانت هناك أناجيل متعددة تتكلم عن حياة المسيح ودعوته ، منها إنجيل عيسى نفسه وقد ورد ذكره فى إنجيل مرقص (١) وفى رسالة بولس الى أهل رومية (٢) ومنها إنجيل السبعين وإنجيل التذكرة وغيرها من الأناجيل الكثيرة ، ولكن مصير هذه الأناجيل كلها قرَّرَهُ مجمعُ نيقية سالف الذكر ، أى قرره أولئك الذين اتخذوا قراراً بألوهية المسيح ، ومن ثمَّ ألْغَى هذا المجمع كل الأناجيل التى لا تتفق وقرارَه السابق ، والتى لا تلائم الاتجاه الذى ابتدعه بولس الرسول ، فوافق هذا المجمع على الأسفار السبعة والعشرين سالفة الذكر وكوَّن منها ما أطلق عليه « العهد الجديد » وردَّ المجمع كل ما سوى ذلك وعده هراء بالغاً وكفراً وزيغاً يجب إفناؤه ويعاقب من قال به أو حَمَلَه .

ومن الواضح أن هناك أناجيل ورسائل فنيت فى عهد الاضطهادات الأولى التى عانتها المسيحية ، ولكن بقى جزء كبير من الأناجيل والرسائل أخفاه ذووه ثم أظهروه عندما غَلَبَتْ المسيحيةُ أعداءها ، فقدموه لمجمع نيقية ، ولكن المجمع انحرف وأصبحت الغلبة للأقلية التى تقول بألوهية المسيح كما سبق ، وأصبح هؤلاء يتكلمون باسم المسيحيين جميعاً ، وعلى هذا قرر ذلك المجمع مصير الأناجيل ، ويحدثنا الكاتب المسيحى الذى أسلم عبد الأحد داود عن هذا التصرف ويبرز سيادته حقيقة هامة جداً هى أن الأناجيل المعتبرة الآن لم تكن معترفاً بها قبل القرن الرابع ، وهاك كلمات هذا الكاتب :

إن هذه السبعة والعشرين سفرا أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية كتاب لم تدخل فى عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها

(١) الاصحاح الاول الفقرة ١٤ .
(٢) الاصحاح الاول الفقرات ٩ ، ١٦ والاصحاح ١٥ الفقرة ١٩ .

بصورة رسمية إلا فى القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه (سنة ٣٢٥ م) لذلك لم تكن أىٌّ من هذه الرسائل مقبولة ومصدَّقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوى قبل التاريخ المذكور ، ثم جاء من الجماعات العيسوية فى الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفى مبعوث روحانىٍّ ومعهم عشرات الأناجيل ومئات الرسائل الى نيقية لأجل التدقيق ، **وهناك تمّ انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلا وتمَّ انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تُعَدُّ ولا تحصى وصودق عليها ، وكانت الهيئة التى اختارت العهد الجديد هى تلك الهيئة التى قالت بالوهية المسيح (١) . وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها كلها (٢) .**

ويبرز هذا الكاتب نقطة أخرى مهمة هى أن كاتبى الرسائل لم يكونوا على علم بهذه الأناجيل الأربعة ، مع أنه لو صح نسبة الأناجيل الى أصحابها لكانت أسبق من الرسائل ، ويؤكد هذا الكاتب « **أن الأناجيل الأربعة لم تكن موجودة فى زمن الحوارين الخمسة أو الستة الذين كتبوا تلك الرسائل لأن الرسائل لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعاً ولا تشير اليها** » (٣) .

وهناك موضوع آخر يتصل بالعهد الجديد وصلاحيته مصدراً للدين المسيحى ، فقد أثبتنا آنفا أن **الأناجيل اختيرت لتلائم المعتقدات التى وضعها بولس** ، ومن ثم كانت الأغلبية الساحقة من « العهد الجديد » من وضع بولس ومريديه كما أسلفنا القول عند الكلام عن بولس ، ومع هذا فإنه بمرور الزمن ظهر للمسيحيين أن هذه الأناجيل لا تفى بما أرادوا أن يضيفوه للمسيحية من معتقدات ، كغفران السيئات وعصمة البابا وغير

(١) الانجيل والصليب ص ١٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٢١ .
(٣) المرجع السابق ص ١٥ وقد اقتبسنا آنفا من الاب بولس الياس ما يقطع بأن رسائل بولس كتبت قبل الاناجيل .

ذلك ، ومن ثم اقترحوا المجامع يثبتون بها ما يشاءون من الأصول ، واذا كانت المجامع قد أخذت الحق فى تقرير ألوهية المسيح فلا ضير عندهم أن تأخذ الحق فيما دون ذلك من مسائل ، فليس هناك موضوع يرقى الى مستوى هذا الموضوع الخطير ، وعلى هذا فالمصدر الحقيقى للمسيحية هو المجامع ، هو البشر .

على أن الكاثوليك استغنوا عن المجامع واستغنوا عن الكتب المقدسة عندما أثبتوا عصمة البابا ، فانتقلت كل السلطة فى إصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام « الى حبر رومية الأعظم الجالس على كرسى الخلافة البطرسية ، وأصبح له الحكم فيما يختص بالأحكام والأخلاق العيسوية ، وأصبح حكمه قطعيا تجب طاعته لأنه قد وُهِبَ من الله صفة العصمة(١)»

إنجيل يوحنا كُتِبَ ليقرِّر ألوهية المسيح :

ونعود مرة أخرى الى ما أثبتناه آنفا من أن المسيحيين منذ عهدهم الأول كانوا يعتقدون الشىء الذى لا يوجد فى الأناجيل . ثم يوعزون لأحدهم ليكتب إنجيلا يثبت فيه ما اعتقدوه ، وقد أوضح الكتاب المسيحيون أنفسهم ظروف كتابة انجيل يوحنا :

قال جرجس زوين اللبنانى فيما ترجَمَه « **إن شير بنطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلِّمون المسيحية ، كانوا يرون أن المسيح ليس إلا إنساناً ، وأنه لم يكن قبل أمه مريم فلذلك فى سنة ٩٦ اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح ، وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون وأن يكتب بنوع خصوصى لاهوت المسيح** » .

وقال يوسف الدبسى الخورى فى مقدمة تفسيره (من تحفة الجيل) إن يوحنا صنف إنجيله فى آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا ، والسبب

(١) عبد الاحد داود : الانجيل والصليب ص ٢٣ .

أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذِكْرَ ما أهمله متى ومرقص ولوقا فى أناجيلهم » .

وقال أكليمنضوس الإسكندرى المسيحى صاحب المؤلفات الكثيرة فى حقيقة الدين المسيحى ما يلى عن إنجيل يوحنا : **إن يوحنا كتب إنجيله بعد كتّاب الأناجيل الأخرى لأنه لاحظ أن الأناجيل السابقة لم تدوِّن عن ترجمة المسيح إلا الأمور الحسية ، فتلبية لدعوة بطانته ، وبعد استلهام روح القدس عقد العزم على كتابة « انجيل روحى »** (١) .

فبغية يوحنا من إنجيله إظهار ألوهية يسوع (٢) .

وقد قام الأستاذ أبو زهرة بدراسة بعض هذه النقول واستنبط منها أمرين :

أحدهما : أن الاناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقص ولوقا) ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح أو هكذا كانت قبل تدوين الانجيل الرابع (انجيل يوحنا) .

ثانيهما : أن الاساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الانجيل الذى يدل عليها (٣) .

ونضيف الى هذين أمرا ثالثا هو الاعتقاد باستحالة أن تهمل الاناجيل الثلاثة الاولى أساساً هو فى الحقيقة أهم أسس الدين المسيحى وهو ألوهية المسيح ، فلو أن لهذه الألوهية أصلا فى الديانة المسيحية لما كان من الممكن أن تهملها هذه الأناجيل الثلاثة .

وهناك عالم مسيحى متبحر هو الاب بولس إلياس مؤلف كتاب « يسوع المسيح » ، وهذا العالم يثبت الغفلة والخطأ على أصحاب

(١) انظر يسوع المسيح للاب بولس ص ١٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٢ .
(٣) محاضرات فى النصرانية ص ٣٥ .

http://kotob.no-ip.org